



المؤتمر الرابع

للفن والتراث الشعبي الفلسطيني
"واقع وتحديات"



فلسطين

جامعة النجاح الوطنية

كلية الفنون الجميلة

الفترة من 6 : 10 أكتوبر 2012م

التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية

د. عبد الحكيم خليل سيد أحمد

مدرس العادات والمعتقدات الشعبية

بالمعهد العالي للفنون الشعبية - أكاديمية الفنون

جمهورية مصر العربية

عناية

أ.د حسن نعييرات

رئيس اللجنة المنظمة

للمؤتمر

Email: abdo_folk2000@yahoo.com

Mobil: 01226579608

توطئة :

يمثل الوشم شكلاً من أشكال التعبير الفني الشعبي الذي قل الاهتمام به في الثقافة الإسلامية بشكل خاص ، لكنه في الوقت ذاته انفرد بخصوصية ثقافية في الثقافة الشعبية التي دفعت الأفراد المعتقدين في أهميته داخل الحياة العامة . بل وحرصهم . على دق الوشم كشكل من أشكال التزين أو العلاج الشعبي في إطار ممارسته ضمن أبعاد اجتماعية وثقافية ترتبط بالمعتقدات والعادات الموروثة لدى ممارسيه .

وقد عرف الوشم كفن ورمز لكثير من المفاهيم واستخدم للعديد من الأغراض ذات المعاني عند الشعوب . على الرغم من أن الوشم ليس حكراً على بلد أو حضارة دون غيرها إلا أنه يبقى مرتبطاً بشكل أو بآخر بثقافة المجتمع الخاص به . فقد ارتبط الوشم في البدء بالديانات القديمة التي اعتبرته رمزاً لديانتها وآلهتها كما عرف كوسيلة لمحاربة الشيطان والقضاء على السحر الأسود⁽¹⁾.

لذا يهدف هذا البحث إلى التعرف على أشكال الوشم المختلفة لعنا نتوقف عند بعض القضايا الهامة حول الوشم وما يتعلق به من أحكام تعبر عن خصوصية ثقافية في محيط ثقافتنا الشعبية بخاصة والثقافة العربية بشكل عام في إطار المحاور الأربعة التالية وهي :

1. مدخل تاريخي للوشم :

أ . الوشم البدائي :

ظهر الوشم قبل الميلاد ، وأول رسم وشم معروفة على جسم الإنسان ترقى إلى حوالي 6000 ق.م وجدت في رسوم الكهوف في أوربا . وكان الرومان والإغريق يستخدمونه في دمع العبيد ، وهو يعتبر من أقدم العادات التي مارسها (السومريون) سكان جنوب وادي دجلة والفرات منذ مطلع التاريخ إذ كانوا يزينون أجسامهم به .

وقد ظهر الوشم مع التقاليد والديانات الطوطمية⁽²⁾، ومن مظاهر التقديس أنه يحرم على جميع أفراد العشيرة أن يمسا بسوء طوطمهم الخاص .. كما يحرم عليهم أن يأكلوا لحمه أو يدخلوا شيئاً من عناصره في أجوائهم ومخالفة هذه القاعدة تعد في نظر هذه العشائر من أكبر الجرائم وكان الطريقة المثلى إبراز ظواهرها الرمزية ، فغالباً ما كان سكان القبائل البدائية يرسمون الرموز على أجسادهم بطريقة الوشم بغية التأكيد على انتمائهم للقبائل⁽³⁾.

وقد تبدلت معاني الوشم عبر التاريخ : "ففي الماضي كان الإنسان البدائي يطبع صورة الحيوانات التي يخاف منها على ذراعه أو على صدره ، ظناً منه بأنها تكسبه قوة . كما ارتبط الوشم بالديانات الوثنية التي انتشرت شرقاً وغرباً كحامل لرموزها الدينية وأشكال آلهتها ، واستخدم

الوشم كتعويذة ضد الموت والعيّن الشريرة ، وللحماية من السحر . أمّا العرب فاستخدموه كوسيلة للترّيّن والتجمل ، وكرمز للتمييز في الانتماء إلى القبيلة⁽⁴⁾.

ولقد "كان الوشم في فجر التاريخ ذات طابع بدائي قبلي ، حيث كانت القبائل تتخذ من بعض الحيوانات حامياً وصديقاً وأماناً لها ، فتجعل من رأسه "طوطماً" تحتقل به ، وتضعه شارة على بيوتها أو سيوفها أو وشماً على صدور رجالها . ويظل هذا الحيوان رمزاً محترماً لدى هذه الشعوب وأجيالها⁽⁵⁾".

حيث يعد الجسد على حد تعبير "مرلوبونتي" هو: "موطن ظهور للتعبير كما أن كل استعمال للجسد هو تعبير أصلي وأولي ، هذا التعبير هو الذي يجعل الذات تخرج من ذاتها وتتصل بالذوات الأخرى عن طريق العلامات والرموز"⁽⁶⁾.

ب . الوشم عند قدماء المصريين :

مثل الوشم ظاهرة قديمة في المجتمعات البشرية ، فقد عرف منذ قديم الزمان في مصر ، حيث وجد على بعض المومياءات المصرية كما استخدمه المصريون القدماء كعلاج ظناً منهم أنه يبعد الحسد فيما اتخذته بعض الشعوب كقربان لدفاء النفس أمام الآلهة ، كما كان الوشم تعويذة ضد الأرواح الشريرة ووقاية من أضرار السحر فقد عثر على جثث تعود إلى العصر الحجري الحديث والتي تثبت الممارسات القديمة للوشم . كما استخدم الوشم لتحديد الانتماء القبلي وتمييز مجموعة بشرية معينة عن غيرها . ويتضمن الوشم استعمال أدوات حادة ومواد كيميائية ملونة يتم إدخالها إلى الطبقة الجلدية العميقة مما يضمن بقاءها الطويل⁽⁷⁾.

والوشم من الطرق التجميلية القديمة خاصة عند النساء لدى المصريون القدماء التي يرجع تاريخها إلى أكثر من أربعة آلاف سنة ، فقد وجدت جثث ومواد محنطة تحتوي على الوشم ، والتي يقصد بها إما تزيين الجلد أو وضع علامة تميز قبائل وعوائل معينة أو غير ذلك من الأسباب .

وفي العهد الفرعوني كانت المرأة المصرية ترسم وشماً أسفل الوجه وتحت الشفة وعلى ظهر اليد والرسغ . أما الرجل فكان يكتفي بوشم صورة لطائر ما على الصدغ لحماية الرأس من الصداع . واقتصر الوشم عند الشباب على وضع نقطة فوق الذقن ، وأخرى على الجانب الأيمن من الأنف للحماية من آلام الأسنان ، وثالثة في بداية الجفن للحماية من أمراض العين⁽⁸⁾.

ويشير الدكتور "كيمير Kaimer" إلى أنه درس آثاراً للوشم في (موميئات) راقصات فرعونيات ، ولاحظ الأجزاء التي بها وشم تطابق مكان وضع الحلي والأحجبة ، وهذا يحملنا على الاعتقاد بأن الحلي التي نرى الراقصات في العصور الحديثة يحرصن على وضعها فوق أجزاء معينة من أجسامهن ، يمكن ردها إلى أزمته سحيقة ، كان الرقص كما يخبرنا الأنثروبولوجيون خلالها مرتبطاً بالمعتقدات الدينية⁽⁹⁾.

وفي العقود الأخيرة عثر علماء الآثار على مجموعة من الوشومات مرسومة فوق أجساد موميوات الفراعنة ، فيما اكتشف آثاريون كانوا ينقبون داخل الأهرامات علامات الوشم في قبر توت عنخ آمون ، كان يغلب عليها النقوش باللونين الأسود والأزرق . وأيضاً تم اكتشاف موميوات مغطاة بنقوشات الوشم تم اكتشافها في بيرو ، وعلماء الآثار يقولون إنها أفضل نموذج لموميوات تنتمي إلى حضارة بادت قبل 1300 عام . والمومياء التي يبلغ عمرها 1500 عام كانت أيضاً لامرأة في العشرينيات ، ويعتقد أنها كانت تنتمي لقبيلة "موشة" ذات النفوذ . وعثر أيضاً على جمجمة لفتاة موشومة ، يعتقد أنه قد ضحى بها حيث ما يزال حبل يلف رقبتها⁽¹⁰⁾ .

وكثيراً ما لجأ عامة الشعب الآن إلى وشم جانب جباهم بشكل عقاب وهو من بقايا تقديس الصقر عند القدماء المصريين كما أن بعض القديرات يلجأ إلى وشم ذقونهن بشكل العلامة الهيروغليفية (نفد) ومعناها جميل كما يحدث الآن وإذا عددها الكثير مع تطورات العصر في العرايش يقومون بالوشم على ذراعهم بأشكال مختلفة⁽¹¹⁾ .

ج . الوشم في المسيحية :

ظل فن الوشم المصري محتفظاً بعلامته المميزة وهي التأثر بالدين؛ إبان الحكم الروماني ، والديانة المسيحية .

وقد ظهر الوشم في أوج الحروب الصليبية ، فالمسيحيون كانوا يرسمون علامة الصليب على جباههم كي يتعرفوا إلى بعضهم البعض ، ومن ثم اتخذ دلائل حزبية أثناء الحروب العالمية الأولى والثانية مع النازيين والمارينز⁽¹²⁾ .

وقد حرمت النصرانية الوشم منذ مجمع نيقية ، ثم حرمه المجمع الديني السابع تحريماً مطلقاً باعتباره من العادات الوثنية ، فقد تقدم مارتن مادون عام 1969م بمشروع قانون بتحريم الوشم رسمياً في إنجلترا...⁽¹³⁾ .

د . الوشم في الإسلام :

أما في العهد الإسلامي ، فقد أدخلت على الوشم وحدات هندسية وزخرفية جديدة ، كالنجمة والهلال . والواقع أن هذا الفن كان مكروهاً في نظر الإسلام⁽¹⁴⁾ .

فالإسلام مثل دوراً مهماً في التخفيف من بعض مظاهر التصوير الشعبي ، بسبب كرهه للوشم ، وللتشخيص . وجعل الفن الشعبي ، فناً استعمالياً . أي أن التصوير في العهد الإسلامي ، كان يسبب خوفاً من ارتداد الناس عن طريق الرسوم الحائطية وغيرها إلى عهود الوثنية ، فلاقى موجة من التحريم أسبابها دينية...⁽¹⁵⁾ .

فقد جاء في حديث عن النبي ﷺ أنه قال : «لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشِمَاتِ وَالْمُسْتَوَشِمَاتِ وَالْمُنْتَمِصَاتِ وَالْمُنْقَلَبَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ⁽¹⁶⁾ . وقد حرم الله الوشم لما فيه من حبس

الدم بين اللحم وبين الجلد ، ولما فيه من إيذاء الجسد ، وكذلك تغيير خلق الله تعالى: ﴿وَلَا مُرْتَهُمُ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾⁽¹⁷⁾. قال القرطبي: قال ابن مسعود والحسن البصري: "إن المقصود بالتغيير هنا هو الوشم"⁽¹⁸⁾. والمعنى الذي لأجله حرم الوشم هو تغيير خلق الله تعالى . بإضافة ما هو باق في الجسم عن طريق الوخز بالإبر ، وكذلك إيلاء الحي وتعذيب جسم الإنسان بلا حاجة ولا ضرورة .

وهناك فرق بين الزينة الثابتة الدائمة التي تغيّر لون وشكل العضو ، وبين الزينة المؤقتة ، فالأولى محرمة ، وهي من تغيير خلق الله تعالى ، والثانية مباحة ، وهي من التزين المباح⁽¹⁹⁾. وقد استمر الوشم في مصر طوال العهود المملوكية ، حيث نجد في أوائل القرن التاسع عشر أمثلة تقوم على أشكال قريبة من الخطوط والدوائر .

وقد استمر هذا الفن حتى بداية أشكال الوشم تصور بعض الآدميين والحيوانات والطيور والأشكال الهندسية القديمة .

أما بعد خمسينيات هذا القرن فقد خفت ظاهرة الوشم في مصر والبلاد العربية ، بسبب موقف الدين الإسلامي منها ، ووعي الإنسان العربي ورفضه كل ما هو مرتبط بالسحر والشعوذة⁽²⁰⁾.

وقد عاد الوشم الآن إلى ديار المسلمين على أجنحة الموضة والرقي والتقدم وبدلاً من الواشمة العجوز سابقاً جاءتنا (ديبرا روبنسون لورانس) من لندن للخليج لتروج في دورات تدريبية للوشم باعتباره ماكياجاً دائماً يناسب بزعمها من يشتمون من الحساسية و التعرق وعدم ثبات الماكياج ، وحتى يتخلص مروجو الوشم مما لصق بالوشم من سمعة سيئة سعوا إلى تغيير اسمه إلى التاتو⁽²¹⁾.

والتاتو هو ترجمة اللفظ العربي الوشم . والتاتو يستخدم لرسم الشفاه وتحديدها بشكل ثابت ، أو رسم العين بألوان الكحل ليكون الكحل ثابتاً ، أو تغيير شكل الحواجب ، والتاتو عبارة عن ماكياج دائم يتم عمله من خلال مادة صبغية تبقى لسنوات مثله مثل الوشم قديماً ، والفرق بينهما أن الوشم يصل إلى الطبقة السابعة من الجلد أما التاتو فيصل للطبقة الثالثة من الجلد ، تقول الدكتورة عبير خليل استشارية الأمراض الجلدية : إن التاتو عبارة عن إبرة رفيعة نحقن بها مادة معينة على شكل حبيبات تحت الجلد ، فتعطي ألواناً مختلفة ، ومن الأمثلة على ذلك: حبيبات الكبريت تعطي اللون الأصفر ، وصدأ الحديد يعطي اللون الأسود ، وأكسيد الكروم يعطي اللون الأخضر ، والكوبالت يعطي اللون الأزرق الفاتح ، الزئبق وصبغات نباتية يعطي اللون الأحمر . ونستطيع من خلال قراءتنا لنوع وحكم التاتو فإننا نستطيع القول بأن التاتو أنواع ثلاثة

هي :

الأول : التاتو القائم مقام الحناء .

الثاني : التاتو طويل المدة تصل إلى السنة .

الثالث : التاتو المرادف للوشم بالإبر والحقن تحت الجلد .

ويلقى الوشم المؤقت أو ما يعرف بالتاتو طلباً متزايداً من الفتيات في مختلف الأعمار ، خاصة في مناسبات الأعياد ، والعطلات المدرسية(22).

هـ ماهية الوشم والهدف منه :

عرفه ابن شميل في لسان العرب ب: الوُسُومُ والوُشُومُ العلاماتُ ، وقال ابن سيده : الوُشْمُ ما تجعله المرأة على ذراعها بالإبرة ثم تحسوه بالنُّوُورِ ؛ والنُّوُورُ حِصَاةٌ مِثْلُ الإِثْمِدِ تُدَقُّ فَتَسْفُهَا اللَّئِنَةُ أَي تُقْمَحُهَا ، وقال الليث: النُّوُورُ دُخَانُ الفَتِيلَةِ يتخذ كحلاً أو وُشْمًا ، أو النُّوُورُ دُخَانُ الشَّحْمِ الذي يلتزق بالطَّسْتِ وهو العُنْجُ أيضاً(23).

وفي القاموس المحيط : والنُّوُورُ ، النَّيْلُجُ ، ودُخَانُ الشَّحْمِ ، وَحِصَاةٌ كَالِإِثْمِدِ تُدَقُّ ، والوُشْمُ ، كالوَعْدِ : غَرَزُ الإِبْرَةِ فِي البَدَنِ ، ودَّرَ النَّيْلُجِ عَلَيْهِ ، جمعه : وُشُومٌ وِوِشَامٌ ، وقد وَشَمْتُهُ ، وَوَشَمْتُهُ ، واستَوْشَمَ : طَلَبَهُ .

وبهذا التعريف قال الجمهور(24) من العلماء وإن اختلفت عباراتهم إلا أن مؤداها واحد -

وأكثر ما يكون الوشم في الوجه واليدين .

وفي مقاييس اللغة : النُّوُورُ: دُخَانُ الفَتِيلَةِ يَتَّخِذُهُ كُحْلاً وَوِشْمًا) ، وهو دُخَانُ الشَّحْمِ ، والجمع وُشُومٌ وَوِشَامٌ ؛ وَوِشَمَ اليَدَ وَوِشَمًا : غَرَزَهَا بِإِبْرَةٍ ثُمَّ دَرَّرَ عَلَيْهَا النُّوُورَ ، وهو النَّيْلُجُ ، والأشْمُ أيضاً : الوُشْمُ ، واستَوْشَمَهُ سَأَلَهُ أَنْ يَشِمْهُ ، واستَوْشَمَتِ المرأةُ : أَرَادَتِ الوُشْمَ أو طَلَبْتَهُ .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : قوله : (لعن الله الواشمات) جمع واشمة بالشين المعجمة وهي التي تشم (والمستوشمات) جمع مستوشمة وهي التي تطلب الوشم ، قال أهل اللغة : الوشم بفتح ثم سكون أن يغرز في العضو إبرة أو نحوها حتى يسيل الدم ثم يحشى بنورة أو غيرها فيخضر ، وقال أبو داود في السنن : الواشمة التي تجعل الخيلان في وجهها بكحل أو مداد ، والمستوشمة المعمول بها(25).

ويرجع أصل كلمة وشم إلى اللفظة الإنجليزية "تاتو" أي العلامة المرسومة على الجسد البشري . وهي كلمة اشتقت من اللغة البولندية "تاهيتي" وتحمل كلمة ، tattoo المقطع ta يعني علامة . هذه الكلمة دخلت على اللغة الفرنسية وكتبت ، tatouage ومنها انتقلت إلى اللغات الأوروبية(26).

والوشم عبارة عن رسومات على جلد الإنسان تستخدم بواسطة غرز الإبر في الجلد ، بألوان ذات مواصفات خاصة ، إما من الكحل ، أو سماد النار ، أو أصباغ كيميائية خاصة وذات ألوان متعددة ، اللون الأخضر هو الغالب والأكثر ، أما الهدف منها فالغالب أنه للزينة ، أو علامة تميز القبائل بعضها عن بعض فيوشم الأطفال الصغار لكي يعرفوا عند فقدانهم ، أو

تكون ذات معتقدات عند البعض كدفع الضر أو جلب الخير ونحو ذلك⁽²⁷⁾. والوشم بالذهب آخر صيحات الموضة لدى النساء .

وتتعدد أسماء الوشم بتعدد استخداماته ومنها⁽²⁸⁾: "التاتو . الوشم الدائم . الدق (تسمية عند البادية الشمالية) . الوشم اللاصق . الوشم المؤقت" . وأضاف "ألبيروتو سافيولي" : "الردية . الخصر . براثين الدب . مشط الحية . شمس . وردة . نقاط . غزال" . ولهذه الأسماء علاقة بالأشكال فمثلاً وشم الغزال مرتبط بحياة البدو الذين اعتادوا على صيد الغزلان منذ سبعين سنة تقريباً ، وأيضاً هناك وشم مخدة بنت الملك الذي عادة ما يدق على باطن الساعد ، ووشم الكف الذي يدق على الكف⁽²⁹⁾.

كما تتعدد أشكال وصور الوشم بألوانها وأشكالها التي تترجع على أجساد الشباب وتتسلل إلى مفاتن الفتيات ، لتأخذ أشكالاً مختلفة؛ حددها الدكتور خالد بن محمد الغامدي بخمسة أنواع للوشم وهي⁽³⁰⁾:

(1) **وشم الإصابات** : وينتج عن دخول مواد مثل الإسفلت أو سن قلم الرصاص داخل الجلد نتيجة الإصابة في حادث مروري أو غيره .

(2) **وشم الهواة** : وهو عبارة عن وشم يقوم الشخص أو صديقه بعمله حيث يوضع حبر أو رماد على الجلد ثم يتم وخز الجلد بدبوس أو إبرة لتدخل جزئيات هذه المادة داخل الجلد ويكون شكل الوشم غير متقن وعلى مستوى سطحي داخل الجلد .

(3) **وشم المحترفين** : حيث يقوم بعملها شخص مختص يستخدم جهاز مخصص لإدخال اللون المطلوب تحت الجلد ويكون عادة على شكل رسم متقن وبألوان متعددة وعادة يحوي مواد توضع في مستويات أعمق من طبقات الجلد .

(4) **الوشم الطبي** : ويستخدم في حالات نادرة لتحديد منطقة معينة سيتم تعريضها لعلاج الإشعاع لدى مرضى السرطان .

(5) **الوشم التجميلي** : ويسمى أيضاً بالماكياج الدائم حيث يتم رسم الحواجب أو طرف الشفة أو الشفة كاملة أو على شكل كحل للعينين ويتم ذلك بالوشم بمواد مخصصة ، كما يستخدم بعد عمليات الثدي الجراحية لتعويض شكل الحلمة بعد إزالتها جراحياً وقد يستخدم لإخفاء لون البهاق (حيث يتم الوشم بلون مقارب للون الجلد الطبيعي) .

ومما سبق يمكن لنا أن نلاحظ أن الأنواع السابقة لا تخرج عن أحد نوعين : إما وشم دائم هو الوشم المتعارف عليه من آلاف السنين والذي يتم بواسطة الإبر والكحل ونحو ذلك ، فهذا لا يمكن إزالته إلا بعملية جراحية . وإما وشم مؤقت : وهو الذي يمكن إزالته ، أو أنه يبقى مدة زمنية معينة ويزول تدريجياً كالوشم بالحناء ، أو بالأصباغ الحديثة التجميلية .

ومن الواضح أنّ ظاهرة الوشم القديمة . الجديدة تلقى رواجاً على أبواب الصيف الحارّ ، وعلى رغم صعوبة إزالته ، مع كلّ التطوّر الحاصل في التقنيات المستخدمة لهذا الهدف كأنواع الليزر المختلفة ، إلاّ أنّه ما زال يلقي رواجاً كبيراً ، ويعتبر موضة العصر .

أما عن أهداف الوشم فهي متعددة نذكر منها⁽³¹⁾:

- . شد انتباه الآخرين و الرغبة في التميز .
 - . الحصول على جسم أجمل أو صورة أبهى للذراع أو الجسد أو إظهاراً للشجاعة .
 - . إبراز القوة والصلابة ، حيث يظن الواهمون انه يعبر عن قوة الشخصية وخصوصاً إذا حمل معاني ودلالات مرعبة كصور الجماجم والأفاعي وغيرها .
 - . التباهي والتفاخر وأحياناً الاستبشار والتفاؤل به .
 - . تقليص الفوارق بين الناس .
 - . إظهار الانتماء الديني أو السياسي أو الوطني .
 - . يُستخدم الوشم لبعض الطقوس الدينية والعبادات .
 - . قد يرتبط مدلول الوشم ببعض المعتقدات الشعبية السائدة مثل الخرافات والتعاويذ الباطلة حيث أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أنه يشفي من الأمراض وأنه يدفع العين والحسد ويعتبر .
 - . الوشم عند البعض يعتبر نوعاً من افتداء النفس ، فقد كان من تقاليد فداء النفس للآلهة أو الكهنة أو السحرة الذين ينوبون عنها قديماً ، أن الشاب أو الرجل تتطلب منه الظروف في مناسبات خاصة أن يعرض جسمه لأنواع من التشريط والكي على سبيل الفداء ، ولتكسبه آثار الجروح مناعة ، وتجلب له الخير .
 - . بعضهم يعتبره تخليداً لذكرى معينة تحمل في أنفسهم أثراً كحب جارف أو ثار دفين أو عرفان بجميل لشخص معين ، وذلك بتحميل بعض الرسوم كتابات معينة أو الاكتفاء بالكتابة أو بوشم شكل يحمل صورة تعبر عن هذه الحالة كإظهار الحُب بكتابة أسم ، أو حرف ، أو رسم صورة المحبوب .
 - . يستعمل لنواحي جمالية : أصبح الوشم الآن هدفاً أساسياً للزينة فقط مثل: (تغزير الحواجب . تحديد الشفاه . ألوان طبيعية للخدود . تحديد العيون بشكل دائم .. الخ.
 - . وشم السجناء لكي يعرفوا ويتميزوا عن غيرهم .
 - . وشم خاص بقبيلة معينة .
- ويقول الطبيب النفسي جلال الدين شريا : أن البعد النفسي في هذا الموضوع يتمثل في أنه امتداد لتقاليد تاريخية واجتماعية كما أنه موضة وصرعة انتقلت في أيامنا هذه إلى جيل الشباب للفت الانتباه أو لإثبات شخصية الواشم معتبرين الفنانين والممثلين أنموذجاً لهم ،

وأضاف أن الوشم قد يكون شعار لجماعة دينية أو سياسية أو فكرية معينة ، كما أنها صرعة تهدف إلى السير في كل ما هو جديد .

2. الوشم بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية :

ترتبط عادة وشم الأجساد أساساً بالانتماء أو التبعية لمبدأ معين . والوشم أيضاً سحر وتصوف وهوية يميل إلى السيطرة على موضوع ما أو اكتساب صفات وقوى ما يريد التشبه بها أو أنه حاجة إلى حماية فيصبح تعويذة ، أو يحمل رسوم خطيرة كالعقرب أو الحية أو كائنات رمزية أخرى؛ فالوشم إذاً عالم واسع فيه التجارة والدين والمعتقدات تختلط وتتقاطع .

كما يمثل الوشم أحد الموروثات الشعبية القديمة التي تداولت في مختلف المجتمعات الإنسانية على مر العصور ، وبعد جزءاً لا يتجزأ من حياة الناس اليومية آنذاك ، لأنه يدخل في مجالات مختلفة من العلاج والتفاخر والتزيين ، كما يمكن عده أحد الطرق الخاصة في تزيين وتجميل الرجال والنساء قديماً وفي العصر الحديث⁽³²⁾.

وهو أيضاً . أي الوشم . فن له دلالات عقائدية ، وفلسفية ، واجتماعية ، يرسم بواسطة الإبر والمساحيق فيبقى على جسد الإنسان مدى الحياة . وبالتالي فالوشم ليس رسماً فقط وإنما له مدلولات ثقافية تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر ومن مكان إلى مكان حسب ما يؤديه من وظيفة .

ف نجد الوشم في المجتمع العربي يهدف عامة إلى زينة المرأة ، وبالتالي فهو يمثل لغة دلالية يحملها الجسد الموشوم ، ليخاطب به ثقافة الرجل العربي الذي يقدر لغة الجمال ويتعاطف معها وخاصة في احتفالية زواجه ، لتكون المرأة ممثلة في عروسه متزينة في أماكن كثيرة من جسدها ما بين الوجه تارة أو العنق تارة أخرى واليدين والرجلين تارة ثالثة لتمثل له قمة الجمال الأنثوي ، الذي يحمل دلالة اجتماعية وثقافة شعبية تشير إلى نضج هذه المرأة عاطفياً وجسدياً ، فضلاً عن استعدادها لتحمل مسؤولية الأسرة مع زوجها على اختلاف مكونات الأسرة وحجمها .

وتؤكد "فاطمة فائز" باحثة في أنثروبولوجيا الدين والثقافة الشعبية بالمغرب أن " الوشم يدخل ضمن آداب السلوك الاجتماعي ، يرتبط بالجسد الموشوم وبحياته ، ويموت بموته ، كما يشكل جسراً للربط بين ما هو روحي ومادي في الجسد ذاته . وللوشم كذلك رمزية اجتماعية وسياسية قوية ، فهو يشكل أساس الانتماء الاجتماعي وركيزة الإحساس بالانتماء الموحد ، والشعور بالهوية المشتركة والتي ساهمت في ضمان حد كبير من التناغم بين كافة أطراف القبيلة . كما أن الوشم يحيل على هوية واضعه وانتمائه القبلي ، شأنه في ذلك شأن الزخارف النسيجية

المبثوثة بشكل خاص في رداء المرأة المعروف بـ"الحايك" / "تأخذيرت" عدا عن الزربية والحنبل التقليديين .

ولأن الوشم يكتسي بعداً استيطيقياً فهو يتغى إبراز مفاتن المرأة وأنوثتها ، ويصير خطاباً يستهدف الآخر ويوظف لإيقاظ الشهوة فيه وإغراءه وإثارته جنسياً .

كما نجد أيضاً اختلاف شكل الوشم وتصميمه يحمل دلالات ثقافية بعينها ترمز إلى المجتمع الذي يرتبط بهذا الوشم ويعبر عن ثقافته .



فالوشم في الوجه لدى أهالي مصر العليا "الصعيد" عند النساء يتميز بأن الشفة السفلى والذقن غالباً تكون باللون الأخضر ، وكثيراً ما يحمل الوشم علامة مميزة هي "نفر Nefar" ومعناها باللغة المصرية "الجميلة" كما وجد في بعض المومياءات المصرية القديمة .

كما يحمل اللون الأخضر مدلولاً جمالياً للمرأة في مصر العليا ، وهو عنصراً يجذب الرجال من امرأة لأخرى عند حالات الاختيار للزواج .

وبالتالي فالوشم يقوم هنا بوظيفة هامة لدى هذا المجتمع وهي (إثبات شرعية الثقافة) الخاصة بهذا المجتمع أحد وظائف الفولكلور التي حددها "وليام باسكوم" . هذا ويحمل الوشم ثقافة الجماعة التي نشأ بداخلها ليعبر من خلاله عن ثقافة هذه الجماعة ويحافظ على هويتها ، رغم ما يحمل بداخله من مظاهر ميثولوجية ترتبط بالماضي السحيق .

فالوشم لدى الجماعات الشعبية الريفية يحمل خصوصية ثقافية بما يؤديه من وظيفة هامة في حياتهم . حياة الجماعة الشعبية - خاصة عندما يبلغون من الكبر عتياً ، حيث يقومون برسم الوشم أو (بدقه) على ذراع الرجل أو المرأة ، وهو عبارة عن العنوان الذي يعيش به الفرد الموشوم ، حتى لا يضل الطريق في حالة كبر سنه أو فقدان عقله . في الماضي .. حيث يحفظ الوشم صاحبه من النسيان .



كما أنه وسيلة لتحديد عوامل الزمن أو التاريخ من حيث يمكن لمن يقرأ تلك الوشوم التعرف على بعض الصفات الخاصة بصاحبها وثقافته التي يحملها .

والوشم أيضاً لدى المرأة القروية يحمل دلالات اجتماعية وثقافية مختلفة بتعدد أشكاله واختلاف حامله . فنجد المرأة التي تحمل الوشم تحمل معها ماضيها المصاحب الذي لا خلاص منه ، وحاضرها الذي تعيشه ، وأحلامها التي تتشدها في آن واحد .

فهي تحمل ماضي جماعتها أو قبيلتها التي انحدرت منها ، كما تحمل معه حالة الكبت الذي عرفته المرأة على تعاقب الأجيال .

بينما نجد الوشم في الثقافة النوبية دلالات ورموز مختلفة يعكسها الفن النوبي ذات الخصوصية الثقافية ، حيث يتضمن رموزاً تعكس دلالاتها معتقدات شعبية وسحرية . ويظهر ذلك في الوشم والرسوم الجدارية التي تزين واجهات المنازل ومدخلها .

وكثيراً ما تحمل العناصر الزخرفية دلالات معنوية وسحرية ، فوشم السيف يرمز للبطولة والشجاعة ، ويوحى وشم الهلال والنجمة . وهما رمزان إسلاميان . بالتفأول ، وكذلك يوحى وشم القطة السوداء بالتفأول ، أما وشم الغراب والبومة فهما رمزا شؤم وخراب ، في حين ترمز الزهور والورود للصدقة والمحبة أما الإبريق وسجادة الصلاة فيرمزان للطهارة والنقاء .

والوشم يخدم حسب رأى الريفيين في المجتمعات العربية "بشكل عام" ثلاثة أهداف⁽³³⁾:
 . فهو عند المرأة المصرية في الصعيد إحدى علامات الجاذبية الجنسية القديمة التي تهم الرجل .

. وهو هدف عند المرأة اللبنانية الريفية جمالي يزين الجسد ، خط بسيط كالكحل لتزيين العين ونجمة على الذقن ، وسنابل على اليدين ، وأشكال هندسية ونباتية على الذراعين والرقبة .
 . وعند المرأة المغربية ، رسوم وزخارف تشغل كل أطراف الجسد .

والوشم عند المرأة العربية ، يشكل بديلاً للحلي والعقود والأساور والخلخال . لأنه يتخذ أشكال مختلفة وكثيرة منها ما يكون على أشكال هندسية فائقة للتصوير وأشكال الزهور والأشجار والرياحين ، ومنها أيضاً ما يأخذ أشكال البروج والكواكب والهلال والقوس ، وكثيراً ما تغني الوشوم الكاحلين بأنماط زخرفية متنوعة ، وتتميز بما يتميز به الفن الإسلامي من حيث تحاشيه للتكرار الآلي للأشكال ، فجمالية الوشم كشكل فني يكمن في تنسيق الخطوط والأشكال ، فالتصاميم تقوم على التناسق والتكامل الهندسي ، وعلى الدقة والبساطة في التعبير⁽³⁴⁾.

أما بالنسبة للرجال ، فالوشم يعني الشجاعة والأصالة ، وعلامة انتماء الموشوم القبلي والبيئي .

3 الوشم بين الممارسة والممارسين :

ينطوي مفهوم الممارسة "praxis" على معنى المداومة وكثرة الاشتغال بالشيء ، وقد استخدمت للدلالة على النشاط المستمر . كما أن مثالب الفهم المادي للممارسة ينحصر في الممارسة النظرية الروحية ، وسيطرة الميتافيزيقا الروحية المثالية على النشاط العملي الحسي .

وبما أن الممارسات التي يقدم عليها البشر رهن بظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، فهي تختلف بينهم باختلاف هذه الظروف ، ومن الطبيعي أن تأتي معارفهم على درجات كبيرة من التباين أيضاً بمقدار تباين الظروف نفسها .

وتعد المرأة الواشم مبدعة تكتب لتضع لذة النص - أو الرمز - المكتوب بيد المتلقي ذكراً كان أو أنثى لاكتشاف نهايات الجسد الأنثوي الإشتهائية ، ينتقل عبرها الجسم من نظام الأيقونة إلى الجسم اللاهوتي .

وتختلف رسوم وأساليب (الوشم) وأماكن وضعه على جسم الإنسان من بلد لآخر حسب الطبيعة الاجتماعية والمناخية والعادات والتقاليد التي تسود البلد أو المجتمع ، لكن القاسم المشترك في طبقة الرسم واحدة ، حيث تتم بواسطة إبر حديدية مدببة أو قطع نحاسية ذات رؤوس حادة محروقة تغمس بمواد الوشم التي تكون غالبيتها من الرماد أو مواد تكحيل العيون . ويدق بها مكان الوشم المطلوب على الجسم بطريقة سريعة لا تخلوا من الألم .

لكن الأمر تطور مع انتشار الظاهرة وشيوعها في أنحاء عديدة من العالم ، فقد قامت مجموعة من الشركات اليابانية بإنتاج أدوات دقيقة لاستعمالها في هذا (الفن) .. حتى وصل الأمر إلى التكنولوجيا الحديثة حيث أدخلت أشعة الليزر التي بإمكانها أن تضع أكثر من ثلاثة آلاف نقطة وشم على الجسم في الدقيقة الواحدة ، بعد أن كان الأمر لا يتعدى خمس إلى عشر نقاط في العمل اليدوي ، ولم يتطور الأمر في طريقة العمل والآلات المستعملة فحسب ، بل إلى رسوم الوشم نفسه ، حيث بدأت الأشكال تتنوع والألوان تزيد ، حتى باتت الرسوم تشكل ما بين لوحات الفنانين بيكاسو وسلفادور دالي والإيطالي بوتجالي بعد أن كانت مقتصرة على رسومات بسيطة كالأسد والتنين والأفاعي⁽³⁵⁾.

ويعتمد الوشم على الإبر لإدخال مادة الحبر تحت الجلد لكتابة أو رسم رسومات ذات دلالات خاصة بصاحبها . وتقول إحدى المختصات على عمل الوشم بمركز تجميل في أحد ضواحي القاهرة أن الوشم : "تقوب يتم تحديد مكانها في الجسم بقلم دوار في مقدمته إبرة تحمل الصبغة إلى الجزء المخصص في الجلد ، والمراد الرسم عليه ، وهذه العملية تتطلب دقة متناهية ، وتستغرق من ساعة إلى ساعتين تقريباً حسب مهارة الواشم " . وتضيف : " هناك أنواع عديدة من الرسومات أغلبها رسومات من الطبيعة ، فالبعض يختار الرسومات التي تعبر عن القوة والصلابة ، وأحياناً القوة الشخصية مثل رسومات الجماجم والأفاعي وغيرها ، وبعضهم من يقلد مشاهير النجوم في رسوماتهم المجنونة سواء كانت من فروع الشجر أو الورود في مناطق ظاهرة من الجسد"⁽³⁶⁾.

ولا تخلو عملية الوشم من الآلام حيث يقوم اختصاصي الوشم أثناءها بنقر إبرة في الجلد بمعدل ثلاث آلاف مرة في الدقيقة ويتم حقن الحبر في "الأدمة" وهي طبقة الجلد الوسطي أسفل

البشرة والحبر غالباً ما يكون عبارة عن صبغ معدني ذي أساس محلى ممزوج بسائل ويمرر مسدس الوشم عبر الجلد بتحريك الإبرة إلى الداخل والخارج على نحو دائري تطلق كتلاً صغيرة من الصبغ داخل الأدمة حيث تستقر في خلاياه ومع الوقت يطوق الجسم الأصباغ بجدار وقائي من "الكولاجين" مما يحكم إغلاق أو سد الجسيمات في مكانها إلى الأبد... وتختلف هذه العملية ندوب غير مرئية للعين المجردة .

ومن خبرة إحدى الواشحات القديمات ، كانت تعمل بالإبر التي تتخذ شكل الثلاثة إلى سبع أبر تربطها بخرزة أو عجينة وتشدهن بواسطة خيط وتعتمد بعد ذلك إلى طمس الإبر بالسخام أو الفحم ، وتراعي في عملية الوشم الابتعاد عن الشرايين ، وعلى الموشوم أن يتحاشى الماء حتى يجف الدم ، وتبدأ العملية بالدق السريع مولدة في ذلك ألماً كبيراً لا يطاق ، ووسط صرخات الموشوم تردد كلاماً للتخفيف عن آلامه ، ويعتمد على اخضرار الزرقعة أن يطمس أطراف الإبر بمرارة الديك ، ويفضل الطيور الوديعة في ذلك ، أو بحليب المرأة ليضفي على جلد المرأة رونقاً وجمالاً . ويتخذ الوشم في ذلك صورة المرض وتصويره بشكل متناه بالدق على العضو المصاب⁽³⁷⁾ .

وما زالت بعض "الموشحات" في مصر وأغلبهن من ضاربات الودع وقارنات الفنجان ممن ينتسبن إلى قبائل العجر ، يجبن مدن مصر وقراها ، وخاصة في الصعيد حيث بسطاء الناس بحثاً عن زبائن ، وما زال أغلب المصريين يعتقدون أن أفضل وقت لإجراء الوشم هو شهري آب (أغسطس) وأيلول (سبتمبر) وتغلب صورة السمكة (وتعني المرأة) على ظاهرة الوشم في مصر كرمز للخصوبة والحماية .

وعن أعمار زبائنهم وجنسهم تقول: "الشباب من الجنسين يقبلون على دق الوشم وإن كان الذكور أكثر من الفتيات ، كما أن الكتف أكثر أماكن الجسد التي يوشم فيها وأحياناً البطن والصدر ، وتتراوح الأعمار ما بين 14 إلى 35 سنة أغلبهم من الطبقة الغنية بالمجتمع ممن يلهثون وراء الموضة ، والموضة المنتشرة الآن بين الشباب من الجنسين هي رسومات الحب الجارف ، وكتابة أسماء الحبيب للتأكيد على الارتباط الأبدي ، والوشم لا يمكن إزالته إلا بماء النار أو من خلال عملية جراحية يتم فيها إزالته باستخدام الليزر"⁽³⁸⁾ .

يقول "زانك زي" الرسام الصيني الشهير وصاحب غاليري (جين بادي ين) المشهور بالوشم: "إن طريقة الوشم بالنار غير مؤلمة ، ولكننا بدأنا بوضع الرسوم على الكمبيوتر ثم نقلها إلى الجسم بعد اختيارها من قبل الموشوم نفسه . والملاحظ أن الفتيات يختزن الرسومات الدقيقة الصغيرة ، بينما يختار الشباب الرسوم والحروف الكبيرة"⁽³⁹⁾ .

ومن أشهر فئات المجتمع التي ترتفع لديها ظاهرة استعمال الوشم على أجزاء الجسم البحارة والسجناء وبعض الشقاه من أولاد الشوارع المشردين الذين لا مأوى لهم ، وكذلك قبائل العجر الذين يشتغلون عادة بهذا الفن ويحترفونه وأيضاً يتزينون به.
ومن أهم هذه المواد المستخدمة في الوشم هي (40):

- . الكحل .
- . رماد النار (السماد) .
- . عصارة النباتات .
- . استعمال مواد كيميائية .
- . أكسيد المعادن كالحديد والكوبالت .
- . عمليات جراحية تغير لون الجلد كله .
- . حبيبات الكبريت تعطي اللون الأصفر .
- . الكوبالت يعطي اللون الأزرق الفاتح .
- . الزئبق وصبغات نباتية يعطي اللون الأحمر .
- . دواء أصفر كالعصفر والزعفران والكرّم والروث .
- . حبر الوشم : يتكون من منتجات أكسده المعادن الثقيلة مثل الحديد , النحاس , الرصاص الليثيوم و الميركوري واللافت هو أن هذه المعادن لها ألوان مختلفة مثل الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق والأسود .

أما الأدوات التي يستخدمها الواشمين في عملية الوشم فهي :



- . الإبر الثاقبة للجلد .
- . السكاكين الدقيقة التي تمكن من إحداث جروح جلدية .
- . إبرة موصولة بجهاز صغير بواسطة أنبوب وتحتوي على صبغة ملونة ، وفي كل مرة تغرز الإبرة تدخل قطرة صغيرة من الحبر .

أما عن ألوان الوشم المتعارف عليها هي (41):

- . الأخضر: وهو اللون الأشهر .
- . الأصفر : يعتمد على مادة الكاديوم .
- . الأزرق .
- . البيج .
- . الأحمر: يعتمد على مادة السينابار .
- . الأسود .
- . الأبيض .
- . المواد الملونة .
- . ألوان أخرى تخطط بالأبيض لكي يعطي درجات مختلفة من أي لون .



وعلى الرغم من المخاطر المحدقة بهذه الظاهرة ، يتفق عدد من الشباب على أنّ ما يزيد هذه الموضة رواجاً في صفوفهم هو الغموض الذي يكتنفها ، وحرية التعبير المطلقة التي يتميزون بها .

4 الدلالة الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي :

يعود الوشم إلى تاريخ موغل في القدم ، فيرى الأنثروبولوجيون أن الوشم الذي يزين به الريفيون أيديهم وصدورهم وشفاههم ووجوههم لم يكن في يوم من الأيام من عبث هؤلاء المعلمين ، وإنما يعود إلى التاريخ القديم عندما كان الناس يعيشون في حياة بدائية يقدسون فيها بعض الحيوانات ، ويخشون فيها من بعض مظاهر الطبيعة كال موج والرياح والمطر والرعد . ويقودنا هذا كله إلى أن الوشم ظهر في المجتمعات الطوطمية التي تتألف من قبائل وعشائر صغيرة لكل منها طوطمه الخاص ، وهو عبارة عن نوع حيواني أو نباتي أو أحد مظاهر الطبيعة التي ترتبط بها هذه العشيرة وتتخذها رمزاً لها(42).

ولما كان أفراد العشيرة مشتركين مع طوطمهم في طبيعته ، فهم كذلك يشتركون معه في قدسيته ، فكل واحد منهم كان ينظر إليه على أنه متمثل في صورة ما . وهذه القدسية منتشرة في جميع أجزاء الجسم وعناصره ، ولكنها أظهر ما تكون في نظر هذه العشائر في دم الإنسان وشعره . ومن ثم كانت الدماء والشعور من أكثر عناصر الإنسان استخداماً في هذه الطقوس والشعائر الدينية البدائية عند هذه العشائر .

لكن الوشم تحول منذ عقد الستينيات من ممارسة هامشية إلي عادة شعبية؛ وأصبح الوشم وسيلة اتصال أكثر من تقليعة ويمكن تقسيم الإقدام على الوشم لثلاثة دوافع هي :

1. دافع عدائي: الوشم العدائي ويطلق على الفرد صرخة ضد نظام سائد ويقصد به استفزاز المشاهد كرسم خنجر ضد المجموعة الأكبر للتعبير عن تمرد هذه المجموعة كما تفعل العصابات المراهقين والفتوات أو السجون .

2. دافع نرجسي : وقد يعبر الوشم عن هوية النرجسية كمحاولة تأكيد الذات وبحث الحقيقة في مغامرة الحياة على اعتبار أن الوشم قوة منجدة لضعف الجسد فيأتي المظهر ليعطي تنكراً للجسد يجلب الأنظار وكعملية إعادة اعتبار للفرد أو يقوم بدور الطلسم أو الأحجية برسوم معقدة أو كتعبير عن الإعجاب بالجسد وتأكيد الأنا عبر نضرات الآخر .

3. دافع انتمائي: يعبر عن الأنا العليا ليشمل العلاقة الدينية فأشكال كالصليبان أو المسبحة أو اسم يسوع أو عبارة التقوية دليل تعارف وانتماء إلى العقيدة أو ذكرى حج إلى مكان مقدس وهذا أيضاً قرار شخصي إزاء الجماعة ... فقد تكون تعبيراً عن أن الجسد ليس ملك صاحبه؛

ترى في ذلك رمزية تمارس حتى اليوم في الزواج حيث تقليد وشم مؤقت بصبغة الحناء لأقرباء العريس ويختلط الجانب الديني بالبعد السحري والمعتقدات الشعبية لحماية وإبعاد العين والأمراض .

ويمكن للباحث حصر أشكال الوشم المختلفة وأهم المعاني الرمزية الاعتقادية المرتبطة

بها على النحو التالي :

م	الوشم	الرمز الاعتقادي		ملاحظات
1	القرود	حكمة	.	في مصر
2	الحية/أفعى	شر	معرفة	سحر
3	العقرب	قوة	.	.
4	الثعلب	مكر	خدیعة	.
5	الطرناشة	ضد إصابة العين	.	في المغرب
6	الأسد ،النمر،السبع	قوة	يقظة	شجاعة
7	الذئب	عنفوان	وشر	.
8	الغزال	حياة(43)	.	بدو مصر
9	الحصان الأبيض	موت	ملوكية	في ايرلندا
10	القط	سحر	سوء الطالع(44)	.
11	القطة السوداء	تقاؤل	.	.
12	السمة	خصوبة	هدوء	ورخاء
13	الغراب	شؤم	خراب	.
14	الخفاش	سعادة	طول حياة	في آسيا
		لغز	غموض	في أوربا

م	الوشم	الرمز الاعتقادي		ملاحظات
15	البومة	شؤم	خراب	.
16	النسر	حرب	القوة النفسية(45)	.
17	الفراشة	وقتية الأشياء	زوال	خلود
18	العصفور الأخضر	تقاؤل	نصر	خير(46)

19	النخلة	نصر	.	لدى الرومان
20	السيف	بطولة	شجاعة	قوة
21	خنجر	غضب	تمرد	
22	خاتم سليمان	تفاؤل	جلب الحظ	في المغرب
23	السلسلة	للحماية من الخيانة الزوجية		
24	الإبريق	طهارة	نقاء	.
25	القلة	خير	.	.
26	السجدة	تدين	.	.
27	سجادة الصلاة	طهارة	نقاء	.
28	المسبحة(السبحة)	تدين	.	.
29	الهلال	تفاؤل	.	رمز إسلامي
30	النجمة	تفاؤل	.	رمز إسلامي
31	تسنيده السيدة فاطمة الزهراء	تبركاً بآل البيت	.	في المغرب
32	آيات قرآنية	تدين	.	.
33	الصليب	تدين	.	.
34	أيقونة السيد المسيح	تدين	.	.
35	العناوين	للتذكرة	.	.
36	أبو زيد الهلال الزناتي خليفة	الشجاعة	.	.
37	زخارف هندسية ونباتية	جمال	.	.
38	الزهور والورود	صداقة	محبة	.
39	المرساة	خلاص	أمان(47)	.

م	الوشم	الرمز الاعتقادي	ملاحظات
40	الخوذة	أفكار مخنوقة(48)	.
41	مخدة بنت الملك	عادة ما يدق على باطن الساعد	
42	الحلابات	يدق حول المعصم ضد مشاكل وجع اليد جراء عملية حلب الماشية(49)	بدو مصر

أ . مناسبات اجتماعية :

نقصد بالمناسبات الاجتماعية : تلك الأحداث التي تشكل في ذاكرة الإنسان أثراً اجتماعياً أو نفسياً يرتبط بالعادات والممارسات التي ترتبط بدورة حياة الفرد والجماعة داخل المجتمع ، والتي يمكن أن نحصرها في مناسبات ثلاث تشكل مجمل الحياة البشرية ، وهي "الميلاد ، الزواج ، والوفاة".

حيث يتخلل هذه المناسبات كافة أشكال العادات والتقاليد المتفق على ممارستها في كل منها إلى جانب ما يمكن الاتفاق على تسميته اصطلاحاً "بالعادات المستحدثة أو الموضة" التي تظهر لتغطي مظهراً اجتماعياً يرتبط بالأقوال أو الأفعال بين الممارسين وخاصة من فئة الشباب كوسيلة يعبر من خلالها عن "الأفكار المعاصرة في حرية مطلقة".

ف نجد أن العالم قد اجتاحتها في السنوات الأخيرة موجة الوشم أو ما يسمى بـ(التاتو) حيث لا تكاد ترى شاباً أو شابة إلا وشم على جزء من جسمه أو جسمها ، والأمر لا يقتصر على الشباب من الأعمار الصغيرة أو المراهقين ، فالأمر قد تجاوز ذلك نحو الأعمار الأخرى التي تتجاوز الأربعين أو الخمسين ، وقد انتشرت ظاهرة الوشم في أوساط الشباب وأصبحت تتطور بصورة تتلاءم مع الموضة والأزياء ، كما امتدت أهمية الوشم عند البعض ليصبح رباط غليظ بين المحبين يشبه رباط الزواج ، حيث يكتب المحب اسم حبيبه وأحياناً يرسم صورتها على جسده كدلالة على حبه لها وولعه بها (50).



ففي "الوشم" وسيلة للتقالت من قيود المجتمع ومشاكله ، لذا غالباً ما يختارون تزيين أجسادهم برسومات تعكس طموحاتهم وما يصبون إليه في المستقبل .

(1) الميلاد :

ويستخدم الوشم للأطفال خلال سنوات أعمارهم الأولى اعتقاداً من الوالدين بأنه يقوم بوقايتهم من الحسد والعين الحاسدة ، ومن الأمراض العصبية والنفسية ، وكثيراً ما تلجأ الأمهات لوشم أطفالهن في مناطق بارزة من الجسم كالوجه مثلاً . وقد يوشم الأطفال خاصة لكي يعرفوا عند فقدانهم .

وفي العراق يُقال إن الوشم يساعد على الحمل (51). كما يستخدم الوشم في غينيا كدليل على انتقال الصبية إلى مرحلة الرجولة ويعتبرونه أثراً لأسنان الآلهة التي عضت الموشومين ليصبحوا رجالاً (52).

وتختلف الأهداف والغايات التي يتوخاها الشباب من لجوئهم إلى الوشم . فهناك من يولي أهمية كبيرة للوشم من حيث كونه يعبر عن هويته وانتمائه الديني كما لدى المجتمع

المسيحي ، بحيث لا يمكن الاستغناء عن هذا الوشم الذي يرتبط بالمعتقد الديني ، وبالتالي فهو لا ينفصل بحال عن الهوية .

وإذا تحدثنا عن وشم الأطفال في المسيحية فكان أساسه دق الصليب علي اليد ، وكان في عصور الاستشهاد . فكان من حب المسيحيين للاستشهاد ، الآباء والأمهات كانوا يخافوا علي أطفالهم الصغار غير القادرين علي أن يتكلموا ، فلو فرضنا أن الأب والأم قتلا من أجل المسيح ، وتركا ابنهما الطفل ، فخوفاً عليه وعلي مستقبله كانوا يدقوا علي يد الطفل منذ أن يكون رضيعاً علامة الصليب ، دلالة على أنه مسيحي . وأن أصله مسيحي ، وأنه تعمد بالمسيح وأصبح في حساب المسيحيين . والصليب يدق بالإبرة وبنوع من الخضرة ليبقي في اليد ولا يمحي .



(2) الزواج :

عرف الإنسان قديماً أن يتخذ الزينة الظاهرية في بدنه ، وملبسه ، وأدواته ، وحُلِيِّته كما عرفها في نفسه باكتساب المعارف والآداب ، والتخلق بالدين ، والأخلاق الجميلة الفاضلة، وجاء الإسلام بشريعته السمحة ليغذي الإنسان رغباته الجمالية ، وأشبع فيه نهمه إلى الظهور بالمظهر الجميل الحسن .

وقد يتمادى الإنسان في الحصول على رغباته الجمالية ، وبيالغ فيها إلى حدّ الحصول عليها بالعمليات الجراحية في وجهه أو بدنه . إما لمعالجة تشوهات خلقية معينة عقب حوادث ، أو حروق تحدث أمراضاً نفسية عنده إن لم يبادر إلى معالجتها بهذه الجراحات . وقد يقوم بإجراء هذه الجراحات لمجرد هوى أو هوس نفسي ، أو إفراط في الدعة والمجون .



وعلى الرغم مما يسببه الوشم . خاصة بطرقه القديمة . من الألم الشديد لمن يقوم به، لكننا نجد الكثيرات من فتيات القرى كن يذهبن قبل الزواج إلى الأسواق الشعبية لدق السمكة كفال حسن تجنباً لحالات العقم ، خاصة المقبلات على الزواج وكذلك رسم الثعبان بأشكال متعددة والإبريق ، ولعل فيما رآه "سيجموند فرويد" بعض الجواب ، إذ يرى في كتابه "Totem and Taboo" أن هذه الرموز ذات علاقة وثيقة بالجنس ، فمثلاً بعض صور الوشم تضم فتاة تحيط بها سمكتان وثعبان ، وإن رجلاً يدق على صدره مثل هذه الصور إنما يشير بذلك إلى رغبة كامنة فيه إلى امتلاك فتاة معينة كعروس مشتتة . كما أن وضع السمكة إلى جانبها إنما يشير إلى اشتهاؤ حياة الرغد والنسل . ووضع الثعبان الذي يرمز أصلاً إلى الشيطان إنما يفصح عن خوف يعتمل في نفسه من الشيطان ، ويأمل ويتمنى أن يجنبه الله ما يجلبه إليه من شرور تسبب له الأحزان ، ونرى أن تفسير فرويد

يضع تعليلاً معقولاً لعمل عمليات الوشم التي يرغبه في الأغلب - شبان يطئون الدرجات الأولى نحو الرجولة وتكوين الأسرة⁽⁵³⁾.

وقد عرف الوشم في الصين القديمة ، فقد تحدث المؤرخ (تين . لين)⁽⁵⁴⁾ عن طقوس في جزيرة (هاي . ناي) تستخدم فيها الفتيات الوشم خلال حفلات الزواج .

كما يذهب بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن الوشم فوق جسد المرأة هو دليل على الاكتمال والنضج الجنسي لديها وعلامة العافية والخصوبة ، فلا توشم إلا الفتاة المؤهلة للزواج . كما يقال أنه دلالة على اكتمالها جمالاً ، وقدرتها على تحمل أعباء الحياة الزوجية كما تحملت آلام الوخز . غير أن هناك من يخالف هذا القول ويظن أن الوشم بكل ما يعنيه من وخز وألم كان يستعمل لكبح جماح الغريزة وتدبير الطاقة الجنسية لدى الفتاة . ويستندون في تبرير ظنهم هذا بوجود الوشم لدى بعض النساء في أماكن حساسة ومستورة من جسدهن كالثديين والفخذين وهو ما قد يكون علاجاً زجرياً لهن في حالات الفوران الجنسي .

ويذهب البعض إلى أن للوشم وظيفة جمالية يراد بها "التزيين" ، وهو تخط وسبق للجمال القائم في الطبيعة وابتداع لصور أخرى منه ، وقد بدأ الإنسان يمارس التزيين على ذاته المادية ، التي لم يكن يملك سواها فعكف عليها فصدأ ووشماً وكياً ، فنقش بدنه بأشكال هندسية ورمزية مختلفة ، حتى إذا انفصل عن ذاته ويضيف إليها عناصر خارجية بدأ يتجه إلى تزيينها هي كذلك ، فاحتفل بملابسه وحليته⁽⁵⁵⁾.

ومن المعروف في منطقة الريف خاصة والمغرب عامة أن الوشم من أدوات الزينة الضرورية لأية فتاة ناضجة ، وفي هذا نجد جورج كرانفال يقول: "الوشم في هذه البلاد عند النساء إعلان عن مرحلة النضج والاستعداد لاستقبال الرجل والإناطة بوظيفة الزواج" ، بحيث يصبح الوشم بالنسبة للمرأة الأمازيغية...بوابة عبور لسن الرشد ومعه بوادر الزواج وهو في هذه الحالة يكتسي بعدا استراتيجياً ويصبح مظهراً جمالياً تود من خلاله المرأة الشابة إبراز مفاتها ، وإعلان نضج أوثتها .

ومن الجدير بالذكر أن الوشم في صعيد مصر ظل محتفظاً بطابعه القديم ، فالوشم في الصعيد يتميز بأن الشفة السفلى تكون كلها باللون الأخضر ، والذقن يكون عليها رسم يصل من الشفة إلى أسفل الذقن ، تضعه الفتاة المصرية كنوع من التجميل والزينة ، كما وجد في بعض الموميات المصرية القديمة . وبهذا ظلت الفتاة المصرية الصعيدية الحديثة تدق تلك العلامة على الذقن دون أن تعرف أنها عادة مصرية قديمة مضى عليها آلاف السنين⁽⁵⁶⁾.

ولأن الوشم كما قلنا له دلالة جمالية بالدرجة الأولى فلا بد وأنه قد استقر إلهام الشعراء وأثار لعاب المخيلة الإبداعية وفي هذا الباب كتب الكاتب⁽⁵⁷⁾.

حينما يصبح الجسد مجالاً للإبداع يقول في إحدى فقراته "ويكتسي الوشم في ظاهره وباطنه دلالات عديدة وعميقة ، فهو يأخذ من جسم الإنسان فضاءاً للتدوين والكتابة ولوحة للرسم والخط .

لقد تناسى أولئك رمزية الوشم في البقاء والخلود وهي قضية طرفية في معلقته ، وأنه تميمة لطرد الأرواح الشريرة عن الإنسان وعن الديار ، أو "تعويذة سحرية" (58) ، فالمعنى الأقرب إلى مثل هذه المعتقدات ، في بيت طرفية السابق هو "كالوشم الباقي" ، وليس كبقايا الوشم . فالظلل عند طرفية منقوش في قلبه و ذكرى خولة محفورة في قلبه (59) ولذلك فإن زهير بن أبي سلمى عندما أراد لديار العرب البقاء والخلود وعدم الاندثار ، والفناء ، بسبب الحروب التي دارت بينهم ، قرنها بالوشم المتجدد الذي كان مرة تلو مرة (60):

و دار لها بالرقمتين كأنها *** مراجيع وشم في مناشير معصم

إن الوشم عند زهير في هذه الصورة تميمة لصرف عوادي الزمن من حروب وغيرها ، ومثل ذلك عنتره ما أراده لدار محبوبته عبلة ، إذ يقول :

يا دار عبلة بالطوي *** كرجع الوشم في رسغ الهدى

كما كان يستخدم الوشم أيضاً عند الشباب والشابات الذين فاتهم قطار الزواج ، إذ يسبب لهم هذا الأمر أزمات نفسية فيلجئ الشاب أو الفتاة للتنفيس عن هذا الأمر إلى إحدى الواشحات أو الوشامين ، فيؤخذ اسم الشخص الثلاثي لمعرفة دورات كوكبه ، إذ يرسم لذلك دوائر الأفلاك وبروجاً ممتزجة مع بعضها ، ويوشم الشخص في وقت معين وشماً من نوع خاص (61) . ولا ريب في أن هذه الممارسات تحمل دلالات اعتقادية هامة تشير إلى علية اهتمام الشباب بعملية الوشم كأحد أشكال البحث عن الغيبيات التي يقوم المعالج الشعبي بالاعتماد عليها للحالات المرضية والنفسية التي لجأت إليه لعلاجها من هذه الأمراض .

ولا يمكن تجاهل دور الموروث الشعبي الذي ينهض على الاعتقاد في عالم الماوراء المرتبط بالأفلاك والنجوم والطبيعة ، والتي تنسج العقلية الشعبية بعض الطقوس الشعبية والممارسات ذات الإطار الديني للتخلص من آثار هذه الآثار .

ولعل أهم مظاهر استخدام الوشم في احتفالية الزواج كتمارس اجتماعية يمكن الوقوف

عليها في ليلة الحنة للعروس :

حيث ما زالت الفتيات والنساء العربيات يطبعن أيديهن وأقدامهن ومناطق أخرى في الجسم برسوم الوشم ، وخاصة بالحناء ، فالوشم بالحناء بمثابة حلى للفقيرات ، ورموزه تحمل الكثير من الدلالات الاجتماعية والدينية ، وما زالت ظاهرة الوشم بالحناء متداولة في أغلب البلاد العربية في طقوس الزواج ، حيث توشم العروس وقرباتها وصديقاتها ليلة العرس ، وتحاول من

تضع الوشم إتقان الرسم على الكفين والبطن وأسفل القدم ، وبعض أجزاء الوجه لتغدو العروس أكثر تزويقاً وجمالاً⁽⁶²⁾.

ونقوش الحناء⁽⁶³⁾ في الأعراس أو ما يسمى الخضاب والخضاب لا يكون إلا بالحناء فإن كان بغيرها فهو صبغ وقد اختضبت المرأة العربية منذ القدم في يديها ورجليها وخضبت شعرها وصبغته ، وقد تخط بالكتم والوسمة وغيرها طلباً للون الأسود خصوصاً في الشعر .
وعادة ما تكون ليلة الحنة من ليالي الزينة المفضلة وعندما لا تكون هذه الليلة زينة فإنها



تؤجل كما تقول إحدى الإخباريات : "أي أنهم يحسبون حساباً لكل شيء مما يجعل زواجهم مبروكاً وميسوراً فهم يهتمون بفرح كل من حولهم من أهل السماء والأرض فهم يعتقدون أن أهل السماء يفرحون ويحزنون وكان مهماً في اعتقادهم أن تكون أيام الفرحة مناسبة لهم حتى يباركوا لأهل الأرض مما يعني تواملاً قائماً بين الطرفين من أجل عمل ما يقرب الجميع إلى الله"⁽⁶⁴⁾.

ويدخل في عمل عجينة الحنة (مسحوق الحنة ، الماء الدافئ ، الجاز ، الخل ، ماء الورد ، الزبادي ، الليمون ، المحلب). ويتم التخضيب (الحنة) للعروس وأحبابها وأصدقائها وتضع العروس قماش على يديها ورجليها وارتباطهما حتى لا يزولا إلا بعد احمرار الأيدي والأرجل ويأخذان شكل اللون الأحمر .

وتقوم أثناء حنة العروس إحدى قريبات العروس بإلقاء وأداء بعض الأغاني بالقرع على الطبول وتقوم الحاضرات بالتصفيق وترديد الأغاني معها⁽⁶⁵⁾:

المرددين	المغني
يا عريس يا أبو ليلة محنية	يا عريس يا أبو ليلة محنية
يا عريس يا أبو ليلة محنية	خد بالك من الحلوة شوية
يا عريس يا أبو ليلة محنية	دا الناس مالهش غير قلنا وقالوا
يا عريس يا أبو ليلة محنية	خلوها فشار مع تقليية
يا عريس يا أبو ليلة محنية	يا عريس يا أبو ليلة محنية
يا عريس يا أبو ليلة محنية	خد بالك من الحلوة شوية

وهو ما يتجلي واضحاً في أغنيات الزواج وخصوصاً في أغاني مناسبة ليلة الحناء ، حيث تعرض من خلال نصوص أغانيها في تلك المناسبة أهمية الوشم أو الرسم بالحناء لكلا العروسين .

(4) الوفاة :

ارتبط الوشم ببعض حالات الوفاة وخاصة عند الأسر التي يموت أطفالها حديثاً ، حيث تقوم الأم بوشم ابنها اعتقاداً منها وأملاً في أن يعيش لها وليدها .
فوجد في العراق ، إذا فقدت المرأة أطفالاً عديدين أملت في إنقاذ مولودها الأخير باللجوء إلى وشمه . وهو تصرف منطقي مادامت المسارة ، بالصفة نفسها التي لسائر التقربات القدسية الأخرى ، هي مصدر للحياة ."

كما نجد في إحدى عادات مصر العليا : عندما تموت فتاة بكر في سن الزواج ، يرسم على وجهها ويديها زخارف تصطنع وشماً - "على هذا النحو تكون مزينة أو جاهزة ، لأنها إذا استحققت أن تحظى بالقبول بين حور الجنة نالته"⁽⁶⁶⁾. بعبارة أخرى ، يتم إجراء غسلها الزفافي "لحياة ما بعد الموت".

ب . ممارسات طقسية :

يلقى الوشم إقبالاً هائلاً من قبل الشباب ، من مختلف الأعمار والأجناس والأديان ، لتنفيذ وشم معين كالشعائر الدينية : المسبحة ، الصليب ، الهلال ، آيات إنجيلية وقرآنية .
حيث نجد من الممارسات التي تؤدي في إطار احتفالات طقوسية ، عمليات حزّ الجلد فهي شائعة جداً وتتخلل طقوس البلوغ والموت بالخصوص . والوشم تأليفٌ بين هذين الإجراءين ولا يتدخل مبدئياً إلا في سن البلوغ . الذي يحمل دلالة بالغة الأهمية ، ونعني به طقس جلب الحياة .

وفيما يتصل بوشم بعض الشعوب ، فإننا نجد المسيحيون من المصريون مثلاً قد رسموا القديس ماري جرجس وهو يمتطي صهوة جواده ويقتل الشيطان في صورة التتبن أو الثعبان العظيم ، ليعبر بذلك عن فترة كفاح المسيحية للانتشار ، ذلك القديس الذي عاش في مصر خلال حكم الرومان "الوثنيون" في مصر ، تفتح قلبه للإيمان بالدين الجديد "المسيحية" وصار من أشد رعاة المسيحية والمكافحين من أجلها ، يدوس مجد الدنيا ويضرب أروع مثل في التمسك الصادق بالعقيدة السامية حتى الموت⁽⁶⁷⁾.



وقد تأثر الفنان الشعبي بالمأساة وعاش فيها وانفعل بها حتى أخرج صورة معبرة جمعت كل المعاني التي جاءت في نفسه . وصور بها الموقف كله في إيجاز بليغ ، فقد صوروه وهو يمتطي جواده ويحمل رمحاً طويلاً يقتل به ثعباناً ضخماً يحاول أن يلتهمه بينما توأليه عادة عذراء طائرة اللب مشفقة عليه من هول المعركة مما يؤكد أن الفنان الشعبي ينفعل تحت تأثير طبيعة الخير المركبة فيه .

ومن تقاليد الأقباط رسم وشم صليب على معصمهم أسفل يدهم اليمنى وإذا ذهبوا إلى أورشليم يوشمون على أيديهم رسم السيد المسيح في قيامته وتحت صورة الوشم يوشمون سنة زيارتهم وإذا زاروا أورشليم مرة أخرى يوشمون السنة وهكذا إذا واروها في مرات متعددة والوشم موروث من موروثاتهم العديدة من أجدادهم قدماء المصريين حيث يذكر المؤرخون أن أقدم وشم عثر عليه كان في مومياة أمونيت كاهنة الإلهة حتحور ومرضعة مونتحتب الثاني .

وعن علية وشم الأقباط أيديهم بالصليب أثناء الاضطهاد الإسلامي العنصري! قال المقرئزي: "في سنة 695 ميلادية وفي عهد البابا الاسكندروس ولما ولي مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان ... اشتد على النصارى واقتدى به قره بن شريك وانزل بالأقباط شذائد لم يبتلوا قبلها بمثلها فأنقض عليه عامة الحوف الشرقي من القبط فحاربهم المسلمون وقتلوا منهم عده وافرده في سنة سبعمئة واشتد أيضاً أسامة بن زيد التنوخي على النصارى وأوقع بهم وأخذ أموالهم ووسم أيدي الرهبان بحلقه حديد فيها اسم الراهب وديره وتاريخه وكل من وجده بغير وشم قطع يده ...!!! وكتب إلى الأعمال بأن من وجد من النصارى وليس معه منشور أن يؤخذ منه عشرة دنائير ثم كبس اليارات وقبض على عده من الرهبان من غير وشم فضرب أعناق بعضهم وضرب بقيتهم حتى ماتوا تحت الضرب ثم هدمت الكنائس وكسرت الصليبان ومحيت التماثيل وكانت كثيرة والخليفة يومئذ يزيد بن عبد الملك... فلما قام هشام بن عبد الملك في الخلافة كتب إلى مصر بأن يجرى النصارى على عوائدهم وما بأيديهم من العهد فقدم حنظله بن صفوان أميراً على مصر في ولايته الثانية فتشدد على النصارى وزاد في الخراج وأحصى الناس والبهايم وجعل على كل نصراني وشما صورة أسد وتتبعهم فمن وجده بغير وشم قطع يده(68).

كما تنير الكتابات الوشمية التي توضع على الجسم خاصة على الذراعين الاستغراب لعشقها وغرابتها ، فنجد مثلاً عبارات مثل (ولدت لكي أموت) أو (لا تقترب مني) أو (القبر بيتي) وما شابه ذلك ، وفي بلادنا العربية تكثر كتابة "الدعاء" وآيات القرآن الكريم على السواعد مثل (آية الكرسي)(69).

وفي بلاد النوبة يعتقدون أن الوشم فوق العين يقوي النظر، بينما قبائل أفريقية تستخدم الوشم لإبطال السحر ووقاية من الحسد والعين، وبعض القبائل العربية تستخدم الوشم الأخضر للزينة والأسود للحماية من العين بزعمهم⁽⁷⁰⁾.

ج . وظائف علاجية :

مثل الوشم في الماضي درعاً واقياً ضد الأمراض وطرد الشياطين التي تدخل جسم الإنسان وتسبب له الأذى، وبالتالي كان الوشم هو القوة المضادة لذلك، بما يحققه من عملية توازن نفسي وجسدي بين الخير والشر .

وكان قدماء العرب في شبه الجزيرة العربية والشام يضعون وشماً على وجه المريض وجانبي رأسه حين يشعر الإنسان بالصداع، كذلك على الظهر واليدين والقدمين حين يعاني المريض من آلام في العمود الفقري أو في مفاصل الأطراف، حتى أن هذه الظاهرة ما زالت متبعة حتى يومنا هذا في أرياف وبوادي العراق، حيث يقوم أحد العارفين بشئون (الطب الشعبي) بوضع الوشم على أماكن الألم في جسد المريض، وتسمى (الدكة) باللهجة المحلية، وترى نفس الظاهرة في صعيد مصر وبعض مناطق الصحراء في شمال إفريقيا⁽⁷¹⁾.

ولم يقتصر أمر الوشم في ذلك الحين . على التجميل فحسب، إلا أنه كان أيضاً وسيلة علاجية لشفاء بعض الأمراض، كما ظن في هذه الأيام أنه يمنع الحسد، والوحدة المثلثة الشكل التي لا تزال تستعمل في أيامنا هذه في شكل حجاب، وكذلك التعويذة المسماة (خمسة و خميسة) ما هي إلا بقية من المعتقدات الشعبية في الماضي السحيق والتي ما زالت آثارها تؤكد استعمالها ولكن بصور مختلفة لدى العرافين والدجالين ممن يقومون بممارسة الأعمال السحرية لإخراج الشياطين والجان وإبطال الأعمال السحرية لزوارهم من المرضى .

ويضيف "ميس بلاكمان" أنه قد يكون للوشم فعالية في القضاء على وجع الرأس، وسُعار الأسنان، والضعف البصري، ومسّ الجن أو الأرواح⁽⁷²⁾.

وهذه الطريقة البسيطة مستعملة لدى القبائل الإفريقية فلقد كانوا يعتقدون أن هذه الندوب والعلامات التي يحدثها الخدش تحمي من أمراض العيون والصداع وأمراض الرأس كما تساهم في استخراج الأورام حيث أن الندب يخرج كل السموم الداخلية الموجودة في جسم الإنسان، كما أنه يعتبر علاجاً يقدمه سيد القبيلة أو كبار السن لقناعتهم بأنه يقوى الأعصاب الداخلية⁽⁷³⁾.

كما يبرز دور الوشم كعامل لإخفاء العيوب والتشوهات التي تظهر في الجسد والوجه بشكل خاص العيوب الطبيعية أو حدثت نتيجة حادث، إذ تعدد الوشامة المحترفة في عمل أشكال متناسقة على ظهر الجلد المشوه لإخفاء العيوب⁽⁷⁴⁾.

ويؤكد أحد الأشخاص المشومين أحد وظائف الوشم العلاجية في منطقة الرأس عندما كشف عن وشم كبير في منطقة الرأس على شكل خريطة دائرية مطرزة بالنقاط ، وعندما سئل عن سبب ذلك أجاب : "تعرضت منذ صغري إلى داء الشقيقة الذي ولد في ألاماً شديدة في الرأس ، فوشمتني والدتي في حينها هذا الوشم على منطقة الألم في الرأس ، بعدها شفيت منه تماماً" (75).

كما أكد أحد الأشخاص أن الوشم يستعمل في الأمور الطبية المستعصية ، مثل حالته إذ كان يعاني من تضخم في الكليتين وعجزهما ، فأجرى عملية الوشم على جانبي منطقة البطن فوق الكليتين فشفيتاً تماماً . كما أن أحد الأشخاص لوحظ على طرف جفنه وأنفه علامات تكاد تكون مضمحلة المنظر ، وحين سئل عنه قال : "كنت جميل الطلعة حسن الوجه في الصغر ولخوف والدتي من الحسد والعين الحاسدة ، أخذتني إلى الوشامة لعمل رموز ونقاط على هذه المناطق من وجهي" (76).

خاتمة :

مما سبق يتضح مدى ارتباط رسوم الوشم بالمعتقدات والممارسات الشعبية ، وكيف تجلى في الوشم رموزاً اعتقادية أدت دوراً هاماً في حياة الأفراد الشعبيين ، وكيف ارتبط الفكر الشعبي بالأشكال الحيوانية والنباتية ومدى الدلالة الرمزية (الدينية ، الاجتماعية ، والنفسية) التي تركها الوشم بأشكاله وأنواعه المختلفة في ثقافة هذه المجتمعات من (حب ، تعاطف ، أحداث قومية ، مناسبات اجتماعية "ميلاد . زواج . وفاة" ، شعارات دينية ، طقوس وممارسات اعتقادية) التي لا زال الوشم يؤدي أدواراً ووظائف هامة في حياتها .

ويبدو أن ذلك هو الأساس الذي ارتكز عليه قيام الوشم منذ القدم ، بما بقيت له من رواسب في النفس البشرية بعد أن تطور المجتمع الإنساني إلى أطواره الحديثة . فبعد أن ذابت الديانات البدائية ، وتفتحت عيون الناس وعقولهم على دين التوحيد والإله الواحد الأحد جل وعلا ، وبعد أن اتخذ الإنسان خطوات عريضة في طريق الحضارة والرفي ، فمارس الزراعة وأنقن الحرف والصناعات ، وأقام البناء المعماري وعرف المسكن والاستقرار ، وآمن إلى حد كبير غوائل الطبيعة ، ظل مع ذلك متشبهاً بالوشم ، ولم يكن تشبته بهذا القديم ، إلا لأنه رغم ما بلغه من تطور ، لم يستطع أن يتحرر تماماً من انفعاله وتأثره بما يحيط به من أسرار الطبيعة وأخطارها ، وما ورثه من معتقدات وعادات موهلة في القدم .

فالوشم بشكله الحالي نجده متأثراً بل وامتداداً لعقيدة الطوطم في العصر البدائي مروراً بالفترات التاريخية المختلفة سواء في العصر المصري القديم أو العصور المسيحية الأولى أو فترة ظهور الإسلام والتي كان لها تأثيرها الواضح في شكل وموضوع الوشم .

كما تأثر الوشم وما شاع حوله من معاني ودلالات رمزية بالأساطير والسير والحكايات الشعبية والمعتقدات حول الجسد والعلاج الشعبي والتفاؤل والتشاؤم والخوف من الحسد؛ جعله يؤدي دوراً هاماً في اعتقاد الأفراد الشعبيين لعادة دق الوشم .

وبالرغم من اندثار بعض أشكال الوشم بصيغته القديمة فقد انتشرت أو استحدثت أشكال جديدة تقوم مقامه وتؤدي وظائفه جعلته قادراً على مسايرة العصر وتطوراته مراعيًا في الوقت ذاته الأبعاد الدينية والاجتماعية القائمة مع مراعاة العادات والتقاليد القائمة فضلاً عن تأثره بالعادات المستحدثة أو ما يعرف بـ"الموضة".

وقد شكل ذلك خصوصية ثقافية ارتبطت بالثقافة الشعبية المنتشرة داخل المجتمع المصري خاصة والوطن العربي بشكل عام ، خصوصية دينية واجتماعية وثقافية حملت تجليات رمزية ذات أبعاد ثقافية حافظت . وتحافظ . على هوية المجتمع وثقافته من الاندثار أو التهميش جراء عمليات المحاكاة أو التقليد الأعمى في ظل النظام العالمي أو عولمة الثقافة في عالمنا المعاصر .

مصادر البحث :

- 1 أباظة ، عصمت محمد عدلي،"الوشم كمصدر من مصادر الرؤية الفنية في مجال التعبير بالرسم"، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان ، مصر .
- 2 ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم،968م، ،"لسان العرب"، 5مجلداً ، طبعة دار بيروت .
- 3 العبدلي،محمد فنخور،جمادي الأولى 1432هـ،"الكلام الموشوم في بيان حكم الوشوم"، محاضرات في فقه، alfankor@hotmail.com .
- 4 القرطبي،أبو عبد الله،1423 هـ/ 2003 م ، ،"أحكام القرآن"،تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 20جزء .
- 5 المقرئ،تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد،968م، ،الخط - المسماة بالمواعظ والاعتبار ، ج3 ، مكتبة الآداب ، القاهرة .
- 6 المنجد،محمد صالح،موقع الإسلام سؤال وجواب،<http://islamqa.info/ar>

- 7 بلاكمان، وينفريد، 1995م، "الناس في صعيد مصر : العادات والتقاليد" ، ترجمة أحمد محمود ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة .
- 8 ثقافة الفقراء: دراسة في بنية وجذور الثقافة المصرية ، 2007م، إعداد : مركز دراسات قناة النيل الثقافية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة .
- 9 جريدة اليوم ، السعودية ، ع1159 .
- 10 بن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، 407هـ/ 986م، "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، دارالريان للتراث ، 3 أجزاء .
- 11 سيد أحمد، عبد الحكيم خليل، 2001م، "احتفالية الزواج في القرية المصرية ، دراسة ميدانية لقرية حفنا . مركز بليبس . محافظة الشرقية" ، مشروع التخرج للسنة الثانية لدبلوم الدراسات العليا بالمعهد العالي للفنون الشعبية . أكاديمية الفنون ، مصر .
- 12 سبع، ميشال، 2011/11/1م، "عالم النفس الاجتماعي"، روي أبو زيد، حضرموت نيوز "تاتالي اقليموس".
- 13 صابر، محي الدين، "التغير الحضاري في مجتمع إفريقي"، دراسة أنثروبولوجية لقبائل الأزاندي (نيام نيام) ومشروعات توطينها .
- 14 صالح، مخيمر ، 2004/9/29م، "مقدمة القصيدة الجاهلية بين النمطية والتنوع" المقدمة الطللية أنموذجاً" ، المنارة، المجلد 13، ع1، 2006م.
- 15 عامر، سوسن عبد اللطيف، 1981م ، ، الرسوم التعبيرية في الفن الشعبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- 16 عباس، حسين، ربيع 2011م ، "الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى : الذات والموضوع" ، الثقافة الشعبية، العدد 3. عادات وتقاليد، البحرين .
- 17 عبدالله، سوسن إسماعيل ، ، عادات وتقاليد الزواج في قرى البحرين، قرية النويدرات أنموذجاً، الثقافة الشعبية، ع3. عادات وتقاليد، البحرين .
- 18 قانصو، أكرم، نوفمبر 1995م ، "التصوير الشعبي العربي"، عالم المعرفة، ع203 .
- 19 كاظم، فؤاد، 1989م ، ، "الوشم دراسة تاريخية في التقاليد الشعبية"، مجلة المآثرات الشعبية، ع 14 ، مركز التراث الشعبي، قطر .
- 20 مجلة الأسرة، ع131، صفر 1325هـ .
- 21 مراد، بركات محمد ، ، فن الوشم: رؤية أنثروبولوجية نفسية، الثقافة الشعبية، ع3، عادات وتقاليد، البحرين .
- 22 وافي، على عبد الواحد، 1959م، "الطوطمية أشهر الديانات القديمة"، دار المعارف، القاهرة .

- 23 phenomenologiedelaperceptionparisNRF ; 1945 , libraireGallmard.
 24 Winckler (H. A.),Bauen zwischen Wasser und Wüste. The Spoken Arabic of Egypt.

مراجع البحث :

- 1 حسين عباس ، الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى : الذات والموضوع ، الثقافة الشعبية ، العدد 13- عادات وتقاليد ، البحرين .
- 2 الطوطم (totem) رمز تحترمه القبيلة أو العشيرة البدائية ، وتتحد معه في علاقة نسب ، معتقدة أنه يحميها من المخاطر ، وتتفاعل عند رؤيته ، وقد يكون الطوطم حيواناً أو نباتاً أو جماداً . وبجانب الطوطم الخاص للعشيرة يوجد الطوطم العام للاتحاد . مجموعة قبائل أو عشائر . الذي تنتمي إليه العشيرة؛ ومنها اشتق لفظ "TaTTo" الأوربي .
- 3 على عبد الواحد وافي ، الطوطمية أشهر الديانات القديمة ، دار المعارف ، 1959م .
- 4 ميشال سبع : عالم النفس الاجتماعي ، روي أبو زيد ، حضرموت نيوز "تاتالي اقليموس"، 2011/11/1م .
- 5 phenomenologiedelaperceptionparisNRF ; 1945 , libraireGallmard.
- 6 phenomenologiedelaperceptionparisNRF ; 1945 , libraireGallmard.
- 7 حسين عباس ، الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى ، مرجع سبق ذكره .
- 8 أكرم قانصو ، التصوير الشعبي العربي ، عالم المعرفة ، ع203 ، نوفمبر 1995م ، ص20 .
- 9 عصمت عدلي أباطة ، الوشم كمصدر من مصادر الرؤية الفنية في مجال التعبير بالرسم ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان .
- 10 بركات محمد مراد ، فن الوشم : رؤية أنثروبولوجية نفسية ، الثقافة الشعبية ، ع3 ، "عادات وتقاليد"، البحرين .
- 11 ثقافة الفقراء : دراسة في بنية وجذور الثقافة المصرية ، إعداد : مركز دراسات قناة النيل الثقافية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، 2007م ، ص55 .
- 12 ميشال سبع : عالم النفس الاجتماعي ، مرجع سبق ذكره .
- 13 محمد فنخور العبدلي ، الكلام الموشوم في بيان حكم الوشوم ، محا القرينات فظة ، جمادي الأولى 1432هـ ، alfankor@hotmail.com .
- 14 سوسن عامر ، الرسوم التعبيرية في الفن الشعبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1981م ، ص3 .
- 15 أكرم قانصو ، التصوير الشعبي العربي ، مرجع سبق ذكره ، ص26 .
- 16 صحيح البخاري .
- 17 سورة النساء ، الآية (119) .
- 18 القرطبي ، أحكام القرآن ، (392/5) .
- 19 المنجد ، موقع الإسلام سؤال وجواب .
- 20 تعرض فن الوشم في مصر إلى فترات ضعف خلال عهود الاستعمار وخاصة الحكم العثماني .
- 21 مجلة الأسرة ، ع131 ، صفر 1325هـ .

- 22 جريدة اليوم ، السعودية ، ع11159 .
- 23 ابن منظور ، لسان العرب ، (125/16).
- 24 انظر: فتح الباري(568/11) ، القرطبي (392/5) .
- 25 الحافظ ابن حجر ، فتح الباري .
- 26 فؤاد كاظم ، الوشم دراسة تاريخية في التقاليد الشعبية ، مجلة المأثورات الشعبية ، ١٩٨٩م ، ع ١٤ ، مركز التراث الشعبي ، قطر ، ص 149 .
- 27 محمد فنخور العبدلي ، مرجع سبق ذكره .
- 28 المرجع السابق نفسه .
- 29 "ألبيرتو سافولي" مساح آثاري وأنتروبولوجي إيطالي مقيم في سوريا ، محمد فنخور العبدلي ، الكلام الموشوم في بيان حكم الوشوم ، مرجع سبق ذكره.
- 30 محمد فنخور العبدلي ، مرجع سبق ذكره .
- 31 المرجع السابق نفسه .
- 32 بركات محمد مراد ، المرجع السابق نفسه .
- 33 أكرم قانصو ، التصوير الشعبي العربي ، مرجع سبق ذكره ، ص40 .
- 34 المرجع السابق نفسه ، نفس الصفحة .
- 35 المرجع السابق نفسه ، نفس الصفحة.
- 36 المرجع السابق نفسه ، نفس الصفحة.
- 37 بركات محمد مراد ، مرجع سبق ذكره .
- 38 المرجع السابق نفسه .
- 39 المرجع السابق نفسه .
- 40 محمد فنخور العبدلي ، مرجع سبق ذكره .
- 41 المرجع السابق نفسه.
- 42 بركات محمد مراد ، المرجع السابق نفسه .
- 43 ألبيرتو سافولي ، مساح آثاري و أنتروبولوجي إيطالي مقيم في سوريا . نقلاً عن : محمد فنخور العبدلي ، الكلام الموشوم في بيان حكم الوشوم ، مرجع سبق ذكره .
- 44 مجلة الأسرة ، ع131 ، صفر1325هـ .
- 45 المرجع السابق نفسه .
- 46 يرجع ذلك إلى أسطورة ايزيس وأوزوريس . للمزيد راجع : سوسن عامر ، الرسوم التعبيرية في الفن الشعبي ، مرجع سبق ذكره .
- 47 مجلة الأسرة ، ع131 ، صفر1325هـ .
- 48 المرجع السابق نفسه .
- 49 ألبيرتو سافولي ، مساح آثاري و أنتروبولوجي إيطالي مقيم في سوريا . نقلاً عن : محمد فنخور العبدلي ، مرجع سبق ذكره .
- 50 بركات محمد مراد ، المرجع السابق نفسه .

- 51 الأنثروبولوجيا الأمريكية ، 1937م .
- 52 مجلة الأسرة ، ع131 ، صفر 1325هـ .
- 53 بركات محمد مراد ، المرجع السابق نفسه .
- 54 مؤرخ صيني عاش في القرن الثاني عشر .
- 55 محي الدين صابر ، التغير الحضاري في مجتمع إفريقي ، دراسة أنثروبولوجية لقبائل الأزاندي (نيام نيام) ومشروعات توطينها ، ص310 .
- 56 بركات محمد مراد ، المرجع السابق نفسه .
- 57 مخيم صالح ، مقدمة القصيدة الجاهلية بين النمطية والتنوع "المقدمة الطللية أنموذجاً" ، 2004/9/29م ، المنارة ، المجلد 13 ، ع1 ، 2006م . نقلاً عن : عطوان ، حسين ، مقدمة القصيدة العربية ، ص90 .
- 58 المرجع السابق نفسه ، ص83 .
- 59 مخيم صالح ، مرجع سبق ذكره . نقلاً عن : أبو سويلم ، أنور (1412هـ) ، قراءة في معلقة طرفة ، مجلة الملك سعود ، م4 ، ج2 ، ص366 .
- 60 مخيم صالح ، مرجع سبق ذكره . نقلاً عن : زهير ، الديوان ، ص9 .
- 61 بركات محمد مراد ، المرجع السابق نفسه .
- 62 المرجع السابق نفسه .
- 63 الحناء : من نباتات المناطق الاستوائية ويعتقد بأن موطنه الأصلي أمريكا الجنوبية أو الهند . وقد ذكرت البرديات القديمة أن الفراعنة قد استخدموا الحناء في طقوسهم الدينية كما استعملوها في تخبيب المومياءات . وهي تستخرج من شجرة "لاسونيا انرميس lawsonia inormis بعد أن تجفف أوراقها وتتقع مع الليمون الحامض الأخضر في ماء مغلي ، عندها نحصل على صباغ لونه أسود ، يضاف إليه الشاي ، فيقترب لونه من البرتقالي الغامق . وهي مادة لونية ، تمزج بالماء . يرسم بها على الجسد زخارف مؤقتة تزول بعد أيام من وضعها . وهي قريبة من الوشم ، وتكثر عادة أيام الأعراس والأفراح والأعياد . أنظر : أكرم قانصو ، التصوير الشعبي العربي ، عالم المعرفة ، ع203 ، نوفمبر 1995م ، ص42 .
- 64 الإخبارية : أم محمد . أنظر : سوسن إسماعيل عبدالله ، عادات وتقاليد الزواج في قرى البحرين ، قرية النويدات أنموذجاً ، الثقافة الشعبية ، العدد3 "عادات وتقاليد" ، البحرين .
- 65 عبدالحكيم خليل سيد أحمد ، احتفالية الزواج في القرية المصرية ، دراسة ميدانية لقرية حفنا . مركز بلبيس . محافظة الشرقية ، مشروع التخرج للسنة الثانية لدبلوم الدراسات العليا بالمعهد العالي للفنون الشعبية . أكاديمية الفنون ، 2001م .
- 66 Winckler (H. A.),Bauen zwischen Wasser und Wüste. The Spoken Arabic of Egypt .p133.
- 67 بركات محمد مراد ، المرجع السابق نفسه .
- 68 تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن المحمد "المقرزي" ، الخطط . المسماة بالمواعظ والاعتبار ، ج3 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص389 .
- 69 بركات محمد مراد ، المرجع السابق نفسه .
- 70 مجلة الأسرة ، ع131 ، صفر 1325هـ .

-
- 71 بركات محمد مراد ، المرجع السابق نفسه .
- 72 وينفريد بلاكمان ، الناس في صعيد مصر : العادات والتقاليد ، ترجمة أحمد محمود ، ط1 ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1995م ، ص 23 .
- 73 حسين عباس ، الوشم لدى قبائل أفريقيا الوسطى ، مرجع سبق ذكره .
- 74 بركات محمد مراد ، مرجع سبق ذكره .
- 75 المرجع السابق نفسه .
- 76 المرجع السابق نفسه .